نقش كتابي إسلامي غير مؤرخ كتب من اليسار إلى اليمين في موقع (غيران الحمام) شرق تيماء

خالد بن محمد أسكوبي *

تُعدّ منطقة تيماء من أغنى المناطق استيطاناً في شمال غرب المملكة العربية السعودية وأكثرها حضارة ؛ بسبب تضاريسها الجغرافية وخصوبة أرضها، التي كانت عاملاً أساساً لازدهارها منذ القدم . كما أن موقعها التجاري ساعد أيضاً على النمو الاقتصادي ؛ حيث تمر عبر أراضيها القوافل التجارية المحملة بالبخور والتوابل وغير ذلك من السلع الضرورية المتجهة من الجنوب إلي الشمال ، وكذلك القوافل القادمة من الشمال إلى وسط الجزيرة وجنوبها . وقد خلّف لنا سكان المنطقة ، أو الذين عبروا أراضيها كتابات ونقوشاً مختلفة على الواجهات الصخرية ، منها نقوش كتبت بخط المسند الشمالي ومشتقاته ، وكذلك الخطوط العربية التي تعود إلى العصور الإسلامية المبكرة والمتوسطة، فالخط الآرامي على سبيل المثال ساد وانتشر في شمال الجزيرة العربية حوالي الألف الأول ق. م، واشتق منه الخط النبطي ، ومن الخط النبطي نشأ الخط العربي [1] .

(١) (ذنون ، يوسف . قديم وجديد في أصل الخط العربي "مجلة المورد" المجلد الخامس عشر ، العدد الرابع ، ١٤٠٧هـ ، ص / ١٠ - ١١) .

* بكالوريوس في الآداب القديمة من جامعة الملك سعود عام ١٤٠٢هـ .
- ماجستير في الآثار القديمة من الجامعة نفسها عام ١٤١٧هـ .
- يحضر الآن لنيل درجة الدكتوراه في التخصص نفسه .
- يعمل الآن أميناً للمجلس الأعلى للآثار في وكالة الآثار والمتاحف .

ومن هذا نجد أن معظم النقوش الآرامية قد كتبت على الأحجار . ومن أهمها مسلة تيماء المحفوظة في متحف اللوفر بباريس ، التي اكتشفت عام ١٨٨٠م[١] . وقد عرف فن الخط العربي قبيل الإسلام وفي صدر الإسلام . ويرى بعض الباحثين أن الخط العربي نقل عن الخط الحميري المعروف في جنوب الجزيرة العربية ، وجزم منه ؛ لذلك سمى بخط الجزم ، وأن أهل الأنبار قد تعلموه من أهل اليمن . وهناك من يقول : إن الكتابة العربية تطورت من الخط النبطيّ المشتق من الخط الآرامي ونشأت منه حروف عربية ؛ حيث ظهرت بعض الحروف العربية ضمن الكتابات النبطية منذ عام ٩ ق . م[٢] .

وتطور الخط العربي من الخط النبطي هو الأقرب للصواب ويؤيده معظم الدارسين للخط العربي . وقد اشتهرت مكة المكرمة بالمتعلمين في القراءة والكتابة وكانت نسبتهم تفوق نسبة أهل المدينة . وبعد انتصار المسلمين في غزوة بدر الكبرى في السابع عشر من شهر رمضان المبارك سنة اثنتين من الهجرة النبوية المباركة كان فداء أسارى موقعة بدر الكبرى أربعة آلاف درهم لكل أسير ؛ فمن لم يكن عنده مالُ أُمِرَ أن يعلم غلمان الأنصار الكتابة . فكان لأنصار المدينة ممن تعلموا الكتابة شأنُ عظيم ، ومكانة عالية عند رسول الله ﷺ ، فقد أصبح بعضهم بعد ذلك من كتّاب النبي ﷺ[٣] .

وبعد بناء الكوفة بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - انتقل الخط العربي من الحجاز إلى الكوفة ، وانتشر وتطور وسمي بالخط

(١) (أطلال ، حولية الآثار السعودية ، العدد السابع ، ١٤٠٣هـ ، ص ٨٤) .
(٢) (النقشبندي، أسامة ناصر، مبدأ ظهور الحروف العربية، "مجلة المورد"، مرجع سابق، ص٨٤-٨٥).
(٣) (خطاب ، محمود شيت . السفارات والرسائل النبوية ، "مجلة المورد" ، المجلد السادس عشر ، العدد الأول ، ١٤٠٧هـ ، ص ٣٠) .

الكوفي المتطور بعدما نزح إلى الكوفة أهل الحيرة والأنبار وكذلك بعض من قبائل اليمن ، الذين كانوا يجيدون فن الكتابة ، فأضافوا إليه بعض اللمسات الجمالية وسميّ بالخط الكوفي . وفي بلاد الحجاز تطور الخط العربي على شكلين : التقوير والبسط . فالخط المقوَّر سمي باللين وبالنسخ ، والخط المبسوط يسمى اليابس [١] .

ونتيجة للدراسات البحثية والمسوحات الأثرية في المملكة تكونت لدينا مجموعات كبيرة جداً من الكتابات العربية القديمة منها ما هو منقوش على الأحجار الشاهدية ، ومنها ما هو منقوش على المباني التاريخية من مساجد وقلاع وحصون وآبار وبرك وسدود . وهناك آلاف من النقوش المحفورة على الواجهات الصخرية للسلاسل الجبلية في مناطق الحجاز وعسير ونجد وفي شمال المملكة وشمالها الغربي . وتعد تيماء من المواقع المهمة التي عثر فيها على نقوش وكتابات قديمة وبعض النقوش التي تعود للحقبة الإسلامية المبكرة .

وعندما كنت أبحث في أرشيف قسم التصوير بوكالة الآثار والمتاحف عن نقوش المسند الشمالي المتعلقة بدراستي في منطقة تيماء وقع نظري على نقش مصور كتب بالخط العربي الإسلامي المبكر ، فشد ذلك انتباهي ، وبدأت أبحث عن موقع ذلك النقش فتبين لي أنه في موقع جبل (غيران الحمام) على بعد ٢ كم شرق تيماء ، وقد مسح الموقع من قبل فريق الرسوم والنقوش الصخرية الموفد من قبل وكالة الآثار والمتاحف تحت رقم (٢٠٤ - ٢٦٢ص) [٢] ، ووضع عليه سياج من قبل وكالة الآثار لحمايته والمحافظة عليه .

---

(١) (الكردي ، محمد طاهر . الخط العربي ، ١٤٠٢هـ ، ص ٧٤) .

(٢) [أطلال ، حولية الآثار العربية السعودية العدد الثاني عشر ، ١٤١٠هـ ، ص ٦٢] .

ويتكون النقش من ثلاثة أسطر غير مؤرخة وخالية من التنقيط ، نفذ بطريقة غائرة وكتب بطريقة عكسية من اليسار إلى اليمين إلا أن كاتب النقش كتب لفظ الجلالة (الله) في السطر الثاني من اليمين إلى الشمال . ويمكن قراءة النقش على النحو التالي .



نص القراءة : (بالله ثقة أحمدبن
يحيى بن برد صلى الله على محمد
يرحمك الله يا يحيى بن برد)

تحليل النص :

من واقع دراسة النقش يتضح أن كلمة (باللّه ثقة] وردت فيما بعد في مواضع كثيرة أهمها وأشهرها ما كتب على جبل سنام بالربذة شرق المدينة المنورة على بعد ٢١٠ كم ، وفحوى النقش (باللّه ثقة يحيى بن زياد) ويعدّ هذا النقش من النقوش المتطورة التي تعود إلى القرن الثاني وبداية القرن الثالث للهجرة [١] .

كما ورد أيضاً في نهاية النقش (موضوع الدراسة) أن كاتبه يترحم ربما على والده (يحيى بن برد) وقد ورد اسم برد في جمهرة النسب وهو عبد الرحمن ابن أبي برد قتل يوم موقعة الجمل وأخوه مسلم بن أبي برد قتل يوم الحرة[٢] .

وقد يكون يحيى بن برد له صلة قرابة بعبد الرحمن بن أبي برد مع أن هذه القرابة المتوقعة تحتاج إلى مزيد من التقصي والتثبت في ضوء ما يجد من معلومات .

وكما هو معروف أن موقعة الجمل قد وقعت بالبصرة في النصف من شهر جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ[٣] . وموقعة الحرة وهي وقعة مشهورة أيام يزيد بن معاوية وقعت في حرة واقم بالمدينة المنورة سنة ٦٣هـ[٤] .

وفي ضوء الأسلوب الكتابي للنقش ربما يكون تاريخ كتابته في منتصف

(١) (الراشد ، سعد بن عبد العزيز ، الربذة ، ١٤٠٥هـ ، ص ٧٦) .
(٢) (الكلبي ، أبي المنذر هشام ، جمهرة النسب ، ١٤٠٧هـ ، ص ٩٤) .
(٣) (الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٣ ، ١٤٠٧ ، ص٥٩) .
(٤) (الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ١٣٧٦هـ ، ص ٢٤٩) .

القرن الأول الهجري . أما من ناحية طريقة كتابة الخط الغائر من اليسار إلى اليمين فقد اشتهرت هذه النوعية من الكتابة المقلوبة وبالأخص على الأختام وكان من أشهرها خاتم النبي ﷺ حيث نقش على فص الخاتم وبطريقة مقلوبة وغائرة عبارة (محمد رسول الله) بحيث إذا طبع على الرق تصبح الكتابة واضحة من اليمين إلى اليسار[١] .

ونستنتج من هذا كله أن كاتب النقش متمكن في الكتابة وبارع في إبراز مهارته الخطية لدرجة أنه كتب من اليسار إلى اليمين ، وربما كان على دراية بالكتابة على الأختام أو أنه متأثر بكتابات المسند الشمالي ومشتقاتها التي اشتهرت في شمال الجزيرة العربية إلى قبيل الإسلام .

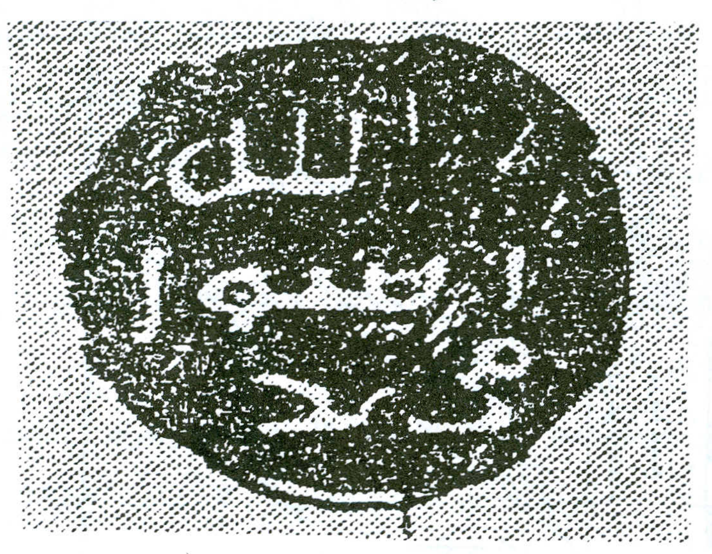
وأسلوب الكتابة من اليسار إلى اليمين يعرف عند دارسي الخطوط العربية وغيرها بخط المرآة (Mirror Writing) ونأمل أن يكون فيما قدمناه من جهد متواضع في إبراز هذا النقش إضافة جديدة للآثار الإسلامية في الجزيرة العربية .

وفي الختام أتقدم بالشكر والعرفان لكل من قام بمساعدتي من الزملاء في وكالة الآثار والمتاحف وعلى رأسهم سعادة الأخ الأستاذ الدكتور /سعد بن عبد العزيز الراشد الذي استفدت من خبراته لا سيما وأنه رائد في هذا المجال وتفضل مشكوراً بقراءة مادة البحث ، كما أشكر الأخ عباس العيسى الذي أخبرني قبل ذلك بأنه شاهد النقش على الطبيعة ، أثناء مرافقته لفريق التنقيب في المنطقة .

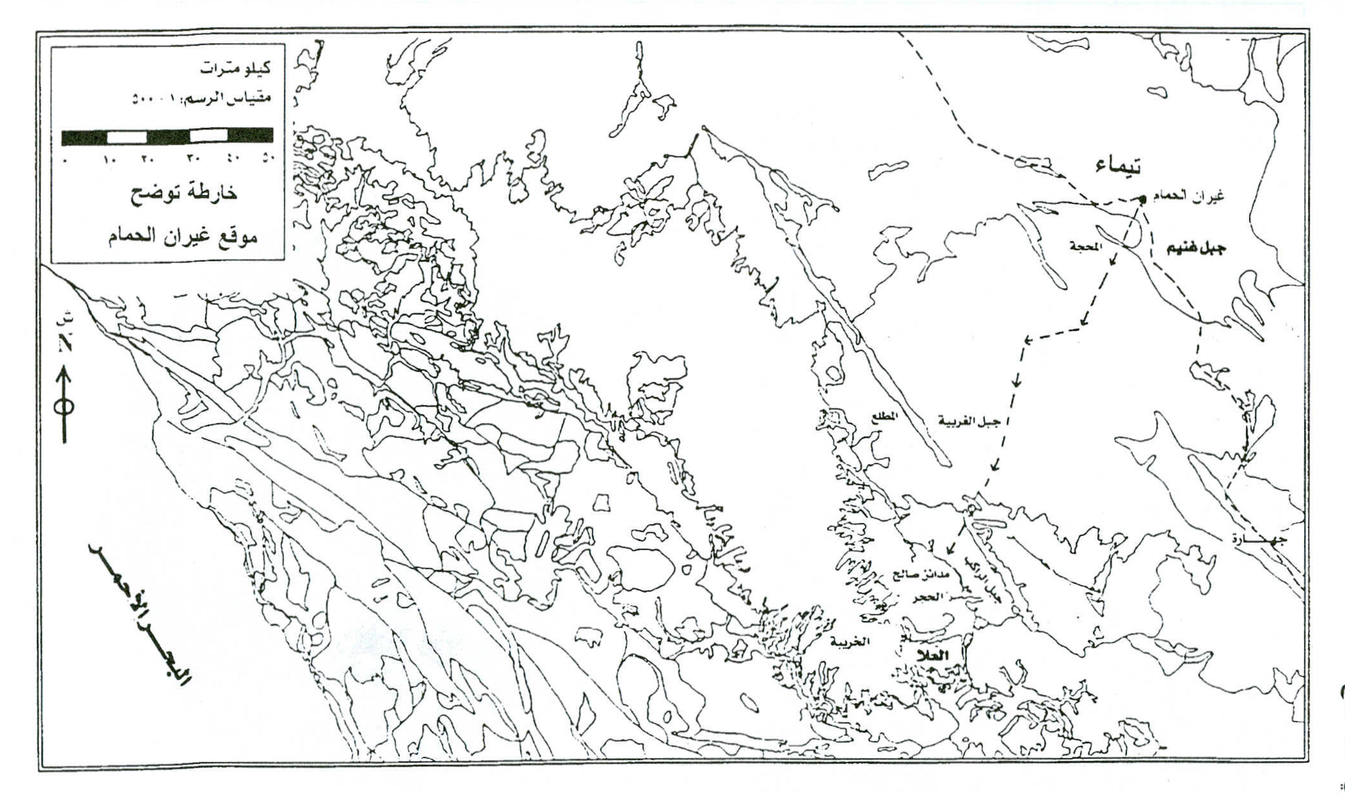
(١) (خطاب ، محمود شيت ، مرجع سابق ، ص ٤١) .



(بالله ثقة يحيى بن زياد) نص الكتابة على جبل سنام بالربذة .
[الربذة صورة للحضارة الإسلامية المبكرة ، ١٤٠٥هـ ، ص٧٦]



(محمد رسول الله) خاتم النبي صلى الله عليه وسلم .
(مجلة المورد ، المجلد السادس عشر ، العدد الأول ، ١٤٠٧هـ ، ص٤٨)



خارطة توضح موقع غيران الحمام

المراجع

١ - البغدادي ، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي . **معجم البلدان** ، المجلد الثاني .- بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م .

٢ - خطاب ، محمود شيت . "السفارات والرسائل النبوية : كتّاب النبي ﷺ ومواده‍م الكتابية " ، **مجلة المورد** ، المجلد السادس عشر ، العدد الأول ، وزارة الثقافة والإعلام .- بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٤٠٧هـ، ص٢٩ - ٥٠ .

٣ - ذنون ، يوسف . "قديم وجديد في أصل الخط العربي وتطوره في عصوره المختلفة " ، **مجلة المورد** ، المجلد الخامس عشر ، العدد الرابع .- بغداد : وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٤٠٧هـ، ص٧-٢٦.

٤ - الراشد ، سعد عبد العزيز . الربذة صورة للحضارة الإسلامية المبكرة .- الرياض : جامعة الملك سعود ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

٥ - الراشد ، سعد بن عبد العزيز . **كتابات إسلامية غير منشورة من رواوة المدينة المنورة** .- ط١.- الرياض : دار الوطن للنشر والإعلام ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

٦ - الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير. **تاريخ الأمم والملوك** ، المجلد الثالث، .- ط ١ .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

٧ - كباوي ، عبد الرحمن وآخرون . "حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية" . (**أطلال**) حولية الآثار العربية السعودية ، العدد الثاني

عشر .- الرياض : الإدارة العامة للآثار والمتاحف ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، ص ٥٣ - ٧٤ .

٨ - الكردي ، محمد طاهر . **الخط العربي** .- ط٢ .- الرياض مطابع الفرزدق التجارية ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٩ - الكلبي ، أبو منذر هشام بن محمد بن السائب . **جمهرة النسب** ؛ تحقيق الدكتور ناجي حسن .- ط١ .- بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

١٠ - النقشبندي ، أسامة ناصر . "مبدأ ظهور الحروف العربية وتطورها لغاية القرن الأول الهجري " ، **المورد** ، المجلد الخامس عشر ، العدد الرابع وزارة الثقافة والإعلام .- بغداد : دار الشؤون العامة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ص ٨٣ - ١٠٢ .

١١ - ليفنجستون ، الستر وآخرون . "**تيماء** - مجسات حديثة ونصوص منقوشة جديدة " ، (**أطلال**) حولية الآثار العربية السعودية ، العدد السابع .- الرياض : الإدارة العامة للآثار والمتاحف ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٨١ - ٩٥ .